مجلة الدراسات التربوية والعلمية - كلية التربية - الجامعة العراقية
العدد الخامس والعشرون - المجلد الثامن - علوم القرآن - حزيران 2025م
doi.org/10.52866/esj.2025.08.25.07

أثر الصدقة في تزكية النفس
دراسة موضوعية في ضوء الكتاب والسنة

م.م صهيب ماجد محمد
قسم علوم القران ، كلية التربية ، الجامعة العراقية
Sohaim.m.mohammed@aliraqia.edu.iq

مستخلص:

تناولت في هذه الورقات اثرا مهما من اثار الصدقة وهو اثرها على النفس ، وهو موضوع بالأهمية بمكان كونه يجمع بين عبادتين عظيمتين وهي الصدقة والتزكية وبيان العلاقة بينهما ، و الحاجة الضرورية في هذه الازمان لموضوع تزكية النفوس وتنقيتها من الاخلاق الرذيلة والطباع السيئة .

واستخدمت في هذا البحث المنهج الموضوعي والتحليلي ، وذكرت الادلة من القران الكريم والسنة النبوية حيث تجلت هداياتهما في الموضوع .

وفي ثنايا البحث اتضح ان الصدقة لم تكن مجرد عطية و احسان للأخر ، ولكنها اسلوب لتربية وتزكية النفس بإزالة البخل والشح عنها ، ورقة القلب واكتساب الاخلاق الحسنة ،كذلك هي مشهد روحاني وانساني تمنح الانسان الاخر الرعاية والاهتمام ، وهي طريق من طرق التكافل و وسيلة لتحقيق العدالة الاجتماعية ، وقاعدة مهمة لتقوية الروابط الاجتماعية بين افراد المجتمع ليعيش بوئام وسلام.

فالصدقة منظومة متكاملة ومنهج تربوي رصين يتعدى اثره صلاح الافراد الى المجتمع ، فيتحول إلى كيان متماسك يسوده الالفة والتعاون ، فتقوى بذلك بنيته الداخلية ، فيكون أكثر قدرة على تجاوز المحن والتحديات .

الكلمات المفتاحية : اثر الصدقة – تزكية النفس – الفرد – المجتمع – الايثار – التواضع – التكافل .

The effect of charity on purifying the same
An objective study in light of the Qur'an and Sunnah

Sohaib Majid Muhammad
Department of Quranic Sciences, College of Education, University of Iraqi
Sohaim.m.mohammed@aliraqia.edu.iq

Abstract:

In these papers, I have addressed an important effect of charity: its impact on the soul. This is a topic of utmost importance, as it brings together two great acts of worship: charity and purification. It also clarifies the relationship between them and the urgent need in this age to purify souls and cleanse them of bad morals and immorality.

In this research, I used an objective and analytical approach, citing evidence from the Holy Quran and the Prophetic Sunnah, whose guidance is evident in the topic.

Throughout the research, it became clear that charity is not merely a gift and kindness to others, but rather a method for educating and purifying the soul by eliminating stinginess and miserliness, softening the heart, and acquiring good morals. It is also a spiritual and humane manifestation that provides care and attention to others. It is a path to solidarity and a means of achieving social justice, and an important foundation for strengthening social ties among members of society so that they may live in harmony and peace.

Charity is an integrated system and a solid educational approach whose impact extends beyond the well-being of individuals to society. It transforms society into a cohesive entity characterized by harmony and cooperation, strengthening its internal structure and making it more capable of overcoming adversity and challenges.

Keywords: Impact of charity - Purification of the soul - Individual - Society - Altruism - Humility - Solidarity.

المقدمة

الحمد لله الكريم القائل ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا﴾ [التوبة: 103]، والصلاة والسلام على نبينا محمد صلى الله عليه وعلى اله وصحبه اجمعين اما بعد :

فإن الله جل وعلا خلق الخلق، فهو اعلم بحدودهم وقدراتهم، ويعلم ما يصلحهم وما فيه العاقبة الحسنى لهم ، فأرسل الرسل بالشرائع والكتب وجعل فيها من الرحمة والعدل والحكمة، ما يحقق فيه الصلاح والاستقامة ، والعيش الرغيد .

ومن هذه التشريعات عبادة الصدقة ، شرعها الله تعالى لخلقه رحمة ونعمة ، وخصها بالتفصيل والبيان، وبين حكمها واثرها وفوائدها، فالواجب من الصدقات هو ركن من اركان الاسلام لا يستقيم اسلام العبد الا به ، والمستحب منها جليل القدر وعظيم الاثر .

ولهذه الصدقات بعمومها ، حِكَمٌ جليلة وآثار كريمة وفوائد وأسرار وفضائل ، ومن فضائلها أنها تطفئ الخطيئة وأنها سبب لدخول الجنة والنجاة من النار وغيرها .

وفي هذا الورقات سوف أُسلط الضوء على أثر من آثارها، وسر من أسرارها ، ألا وهو أثرها في تزكية النفوس، وسبب اختياري لهذه الجزئية بالذات أن موضوع الصدقة وتفرعاته مما أُلفت فيه المؤلفات، وسطرت فيه البحوث والمحاضرات، فأحببت ان لا أخرج عن هذا الموضوع الملهم ولكن أُدقق في دقيقة من دقائقه ، وهو علاقته بتزكية النفس، وكذلك أهمية ذكر تزكية النفس في هذه الازمان التي قل فيها ذكر آفات النفوس وقل التركيز على ذكر وسائل تزكيتها ، فجمعت في هذه الورقات بين المنارتين الصدقة وآثرها في تزكية النفس.

وتكمن اهمية البحث بأهمية مفهوم الصدقة والتزكية ، وأهمية الصدقة باعتبارها وسيلة فعّالة لتزكية النفس وتنقيتها من الشح والبخل ، والأثر النبيل في ذلك على الأفراد والمجتمعات ، وهذه هي المشكلة التي نعنى بدراستها وبحثها ، وقد ذكرها العلماء – الصدقة وآثرها على النفوس – في طيات كتبهم ومؤلفاتهم ولم أجد فيما تيسر لي من مصادر ورقات مستقلة تفصل هذا الامر .

ويهدف البحث إلى بيان العلاقة بين الصدقة وتزكية النفس، وتحليل الأثر الروحي والنفسي للصدقة على الفرد، كذلك تسليط الضوء على الآثار النفسية للصدقة على المجتمع. مستخدما في ذلك المنهج الموضوعي والتحليلي، وإيراد الأدلة من النصوص الشرعية من الكتاب والسنة .

وقسمت بحثي كالآتي :

المبحث الاول : مفاهيم مفردات البحث

المطلب الاول : مفهوم الاثر

المطلب الثاني : مفهوم الصدقة

المطلب الثالث : مفهوم تزكية النفس

المبحث الثاني : الاثار النفسية للصدقة على الافراد

المطلب الاول : الاثار النفسية على صاحب الصدقة

المطلب الثاني : الاثار النفسية على الفقير

المبحث الثالث : الاثار النفسية للصدقة على المجتمع

المطلب الاول: التكافل وتحقيق العدالة الاجتماعية

المطلب الثاني : تقوية الروابط الاجتماعية

المطلب الثالث : تنمية الاخلاق الفاضلة

الخاتمة: وتشمل على اهم نتائج البحث والتوصيات

المصادر والمراجع

سائلا المولى عز وجل أن يكتب لي القبول ، وأن يعصمني وقلمي من الزلل والخلل ، وان يجعل عملي هذا خالصا لوجهه الكريم إنه سميع مجيب .

المبحث الاول :
مفاهيم مفردات البحث

وفيه ثلاثة مطالب :

تمهيد :

جرت عادة الباحثين قبل الولوج في صلب اي موضوع ، ان يذكروا فصلا او مبحثا يستهل به الباحث لبيان عدة امور مهمة تكون مفتاحا للكشف عن مفاهيم ومفاتيح البحث وما يحتويه عنوانه، وتفصيله كلمة كلمة، وبيان معانيها اللغوية والاصطلاحية ليكون ذلك توطئة ينطلق بها القارئ الى أصل الموضوع ، وفهم مادته الاصيلة التي من اجلها تم الشروع بالبحث .

المطلب الاول : مفهوم الاثر

الاثر لغة : اسم مفرد والجَمعُ آثَار، وهو بقيّة ما ترى من كُلّ شيء .

والاثر: الخبر، والآثارُ: الأَعْلام .

والتأْثير: إِبقاءُ الأَثر في الشَّيءِ ، وأَثَّرَ فِي الشَّيءِ: ترك فيه أَثراً[1].

قال ابن فارس: الهمزة والثاء والراء، له ثلاثة أصول: ذكر الشيء، وتقديم الشيء الباقي[2].

الاثر اصطلاحاً :

عرفه الجرجاني : الأثر: له ثلاثة معانٍ: الأول، بمعنى: النتيجة، وهو الحاصل من الشيء، والثاني بمعنى العلامة، والثالث بمعنى الجزء[3].

والتعريف الاصطلاحي للأثر قريبا من معانيه اللغوية ، وقد يتغير تعريفه وفق ما يضاف اليه من علم.

المطلب الثاني : مفهوم الصدقة

اولاً : الصدقة لغة واصطلاحا

الصَّدَقَة لغة : اسم مفرد ، مؤنث ، ومعناها: العطية ، مأخوذة من مادة (صدق) ، وهو أصل يدل على قوة في الشيء قولا وغيره[4]، وهي مأخوذة من الصدق ، فبها يظهر الصدق في العبودية[5]. وَالصَّدقَة المَال المُتَصَدّق به ويجوز أَن يكون بِمَعْنى التَّصْدِيق من صدق المَال: إِذا أَخذ صدقته[6].

ذكر القاضي ابن العربي المالكي في معنى تسميتها صدقة : ان ذلك مأخوذ من الصدق في مساواة الفعل للقول، والاعتقاد. وبناء (صدق) يرجع إلى تحقيق شيء بشيء وعضده به، ومنه صداق المرأة . ومشابهة الصدق هاهنا للصدقة أن من أيقن من دينه أن البعث حق، وأن الدار الآخرة هي المصير، وأن هذه الدار الدانية قنطرة إلى الأخرى ، وباب إلى السوأى أو الحسنى عمل لها، وقدم ما يجده فيها[7].

---

(1) ينظر: كتاب العين للخليل بن احمد الفراهيدي (237-236/ 8) مادة : اثر، لسان العرب لابن منظور (5/ 4) مادة : اثر، تاج العروس للزبيدي (13/ 10) مادة : اثر .

(2) مقاييس اللغة لابن فارس (53/ 1) مادة : اثر .

(3) التعريفات للجرجاني (ص 9).

(4) مقاييس اللغة لابن فارس (339/ 3) مادة : صدق.

(5) ينظر: كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم للتهاوني (1074/ 2).

(6) الفائق في غريب الحديث للزمخشري (177/ 1).

(7) احكام القران لابن العربي (521/ 2).

الصدقة اصطلاحاً عرفها العلماء بتعاريف عدة :

منها ما عرفه الراغب[1] في المفردات : وهي ما اخرجه الإنسان من ماله على وجه القربة كالزّكاة، لكن الصدّقة في الأصل تقال للمتطوّع به ، والزّكاة للواجب ، وقد يسمّى الواجب صدقة إذا تحرّى صاحبها الصّدق في فعله[2]، وقيل الصدقة : ما أعْطَيْتَهُ في ذاتِ الله تعالى[3].

الصدقة: الفعلة التي يبدو بها صدق الإيمان بالغيب من حيث إن الرزق غيب[4].

الصدقة: تمليك العين بلا عوض ابتغاءً لوجه الله تعالى ، والإعطاء للفقراء صدقة وإن كان بلفظ الهبة وللأغنياء هبة وإن كان بلفظ الصدقة[5].

ولعل في هذه التعاريف قصور؛ لان الصدقة لا تنحصر بالعطية المادية فقط ، كون مفهوم الصدقة اوسع من تضيقه في باب العطية المالية كما بينت ذلك النصوص القرآنية والاحاديث النبوية، فالصدقة : تمليك عين ، أو بذل منفعة بلا عوض ابتغاء وجه الله تعالى .

ثانياً: الالفاظ المقاربة للفظة الصدقة ومساقها القران والسنة

وردت لفظة الصدقة في مواطن عديدة في القران الكريم وفي السنة الغراء ، وحملت وجوها كثيرة تدور حول النفع العائد على المتصدق ، والنفع المتعدي للأخرين ، فقد سمى الله تعالى في القران العفو صدقة ، وفي اية اخرى جعل الفدية صدقة .

قال الله تعالى: ﴿وَمَن قَتَلَ مُؤْمِنًا خَطَـًٔا فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ وَدِيَةٌ مُّسَلَّمَةٌ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦٓ إِلَّآ أَن يَصَّدَّقُواْ﴾[6] ذكرت الآية الكريمة الصدقة هنا بمعنى العفو ، قال الطبري[7] رحمه الله : في قول الله تعالى: ﴿ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦٓ إِلَّآ أَن يَصَّدَّقُواْ ﴾ إلا أن يصدق أهل القتيل خطأ على من لزمته دية قتيلهم، فيعفوا عنه ويتجاوزوا عن ديته، فتسقط عنه[8].

كذلك في قول الله تعالى: ﴿فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوْ بِهِۦٓ أَذًى مِّن رَّأْسِهِۦ فَفِدْيَةٌ مِّن صِيَامٍ أَوْ صَدَقَةٍ أَوْ نُسُكٍ﴾[9] والفدية هنا كما في حديث كعب بن عجرة: (أنه كان مع رسول الله ﷺ فآذاه القمل في رأسه، فأمره رسول الله ﷺ أن يحلق رأسه، وقال: "صم ثلاثة أيام، أو أطعم ستة مساكين، مُدَّين مُدَّين[10] لكل إنسان، أو أنسك شاة)[11] بين

---

(1) الراغب الاصفهاني: الحسين من محمد بن المفضل، ابو القاسم الاصبهاني (أو الاصفهاني) صاحب التصانيف، الملقب : بالراغب ، العلامة الماهر، والمحقق الباهر، اديب من اهل اصبهان . ينظر : سير اعلام النبلاء للذهبي (121-120/ 18)، الاعلام للزركلي (2/ 255)

(2) المفردات في غريب القران للراغب الاصفهاني (ص480)

(3) القاموس المحيط للفيروزآبادي (ص900)

(4) التوقيف على مهمات التعاريف عبد الرؤوف المناوي (ص214)

(5) جامع العلوم في اصطلاحات الفنون للأحمد نكري (2/ 168)

(6) سورة النساء الاية : 92

(7) الطبري: محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب، أبو جعفر الطبري الإمام الجليل المجتهد المطلق ، صاحب التصانيف المشهورة من أهل آمل طبرستان، أحد أئمة الدنيا ، طوف الأقاليم في طلب العلم توفي سنة 310هـ. ينظر: تاريخ دمشق ، لابن عساكر (188/ 52)، طبقات الشافعية الكبرى ، للسبكي (120/ 3).

(8) جامع البيان عن تأويل آي القرآن للطبري (306/ 7)

(9) سورة البقرة الاية : 196

(10) المدين مثنى ، ومفردها مد بضم الميم ، وأصل المد مقدرٌ بأن يمد الرجل يديه فيملأ كفيه طعاما. ينظر : النهاية في غريب الحديث والاثر لابن الاثير (308/ 4)

(11) الحديث اخرجه النسائي في كتاب مناسك الحج – في المحرم يؤذيه القمل في رأسه برقم : 2851 ، و اصله في الصحيحين اخرجه البخاري في ابواب المحصر وجزاء

الحديث الشريف الصدقة التي ذكرها القرآن ، وبين انها هنا اطعام الطعام .

ومنها قول الله عز وجل: ﴿وَإِن كَانَ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلَىٰ مَيْسَرَةٍ ۚ وَأَن تَصَدَّقُوا۟ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾[1] فالصدقة هنا بترك الدَّين أو اسقاط بعضه. ويمكن أن تُذكر الصدقة ويراد بها الزكاة المفروضة كما في قول الله تعالى: ﴿ إِنَّمَا ٱلصَّدَقَٰتُ لِلْفُقَرَآءِ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱلْعَٰمِلِينَ عَلَيْهَا﴾[2] الآية والآيات في ذلك كثيرة .

وفي الحديث النبوي الشريف ورد مصطلح الصدقة بأحاديث عدة ، وكلها تدور حول الاحسان والمعروف إلى الخلق ، فقد ثبت عن النبي ﷺ أنه قال: (تبسمك في وجه أخيك، لك صدقة، وأمرك بالمعروف ونهيك عن المنكر صدقة، وإرشادك الرجل في أرض الضلال، لك صدقة، وبصرك للرجل الرديء البصر، لك صدقة، وإماطتك الحجر والشوك والعظم عن الطريق، لك صدقة، وإفراغك من دلوك في دلو أخيك، لك صدقة)[3] .

ذكر الحديث اصنافا عديدة من الاعمال الصالحة كلها داخلة تحت مسمى الصدقة ، فالصدقة تطلق على كل افعال المعروف ، ودليله ما صح عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أنه قَالَ: (كُلُّ مَعْرُوفٍ صَدَقَةٌ)[4] وقد احسن بيان هذه المسألة ابن رجب[5] رحمه الله في كتابه جامع العلوم والحكم[6] .

المطلب الثالث : مفهوم تزكية النفس

يمكن أن نعرف تزكية النفس باعتبارين : الأول باعتبار مفرديه المضاف والمضاف إليه بتعريف كلمة (التزكية) و(النفس) والثاني : تعريفه باعتباره عَلَماً على علم معين .

التعريف الاول : باعتبار مفرديه

اولاً: التزكية لغة: مأخوذة من زكا ، زَكَا الزرع يَزْكُو زَكاءً: ازداد ونما، وكل شيء ازداد ونما فهو يزكو زَكاءً ، أو من زكى يزكي تزكية و زكاة المال: وهو تطهيره، والزكاة: الصلاح. تقول: رجل زكيٌّ: تقي. فالتزكية تعود الى معنيين : الاول: النماء والزيادة ، والثاني: الطهارة [7].

التزكية اصطلاحاً: أصل التزكية نفي ما يستقبح قولا أو فعلا، وحقيقتها الإخبار عما ينطوي عليه الإنسان[8].

ثانياً: النفس لغة:

نفس اسم مفرد ، وجمعها نُفُوس: و لها معان. النَّفسُ الرّوح الذّي به حياة الجسد ، والنفس ما يكون به التمييز أي العقل ، روي عن ابن عباس

الصيد – باب قول الله تعالى : أو صدقة وهي اطعام ستة مساكين برقم : 1815 ، ومسلم في كتاب الحج – باب جواز حلق الراس للمحرم اذا كان به اذى برقم : 1201

(1) سورة البقرة الاية : 280

(2) سورة التوبة الاية : 60

(3) اخرجه الترمذي في سننه في ابواب البر والصلة : باب ما جاء في صنائع المعروف برقم : 1956 ، صححه الالباني ، ينظر : السلسلة الصحيحة (116/ 2) برقم: 572

(4) اخرجه البخاري في صحيحه في كتاب الادب : باب كل معروف صدقة برقم : 6021

(5) ابن رجب : زين الدين عبد الرحمن بن أحمد ابن رجب بن الحسن بن محمد بن مسعود السلامي البغدادي ثم الدمشقي الحنبلي الإمام الحافظ المحدث الفقيه الواعظ توفي سنة 795 هـ . ينظر : طبقات الحفاظ للسيوطي (ص 540)، الاعلام للزركلي (295/ 3)

(6) (ص 533)

(7) ينظر : كتاب العين للفراهيدي (394/ 5) مادة : زكو ، مقاييس اللغة لابن فارس (18–17/ 3) مادة : زكى ، لسان العرب لابن منظور (358/ 14) مادة : زكا

(8) التوقيف على مهمات التعاريف للمناوي (ص96)

أنه قال: لكل إنسان نفسان: أحدهما: نفس العقل التي يكون بها التمييز، والأخرى نفس الروح التي بها الحياة . وكلّ إنسانٍ نَفْسٌ حتّى آدم عليه السلام، الذَّكَرُ والأنثى سواء. وكلُّ شيءٍ بعينه نَفْسٌ. ورجلٌ له نَفسٌ، أي: خُلُق وجَلادة وسَخاء[1].

والنفس الجسد، والنفس الدم لخروجها بخروجه يقال: سالت نَفْسُهُ، والنفس الأخ وشاهده قوله تعالى: ﴿فَإِذَا دَخَلْتُم بُيُوتًا فَسَلِّمُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ﴾[2] ، والنفس بمعنى عند (الذات) وشاهده قوله تعالى: ﴿تَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِى وَلَآ أَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِكَ﴾[3] [4].

والنفس: العين التي تصيب المعين ، والنفس: العظمة والكبر، والنفس: العزة ، والنفس: الهمة ، والنفس: الأنفة[5].

النفس اصطلاحاً :

النفس: هي القوة التي بها جسم الحي حياً فإنما يستدل على إثباتها بما يظهر من الأفاعيل عن جسم الحي عند تصوره بها[6].

تعريف آخر: هي الجوهر البخاري اللطيف الحامل لقوة الحياة والحس والحركة الإرادية، فهو جوهر مشرق للبدن فعند الموت ينقطع ضوؤه عن ظاهر البدن وباطنه. وأما في وقت النوم فينقطع عن ظاهر البدن دون باطنه[7].

واحوال النفس ثلاثة كما ذكر ذلك القران الكريم[8]:

- اعلاها واكملها النفس المطمئنة هي نفس المؤمن العالم العامل الذي فعل الواجبات وترك المحرمات وانتهى عن فضول الملهيات والمباحات والمكروهات .

- واقل منها النفس اللوامة التي تفعل الذنب بترك الواجبات وفعل المحرمات وتلوم صاحبها على ذلك .

- واخسها واقلها النفس الامارة بالسوء فهي التي تأمر صاحبها بمقارفة الشهوات ، وترك الواجبات وتسكنه بالتسويف والكسل فهي مأوى الشرور، ومنبع الأخلاق المذمومة[9].

التعريف الثاني : باعتباره عَلَماً

تزكية النفس : تطهيرها وتنقيتها من الآفات، وتزيينها بجمال التعظيم لله تعالى ، وتحريرها من الجزع والهلع والبخل وسيء الاخلاق وحملها على فعل الواجبات وترك المحرمات وترك فضول المباحات قال الله تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا * وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا﴾[10] .

ومعنى التزكية: المبالغة في التطهير، وتكون بتطهير النفس من الآثام والرذائل بتخليتها من كل ما يشوبها من كدر ونقص، وتَحْلِيَتُها بفعل الاوامر والفضائل وذلك لا يتم الا بالمجاهدة والصبر كما

(1) كتاب العين للفراهيدي (7/ 271) ، تهذيب اللغة للأزهري (8/ 13) ، لسان العرب لابن منظور (6/ 234)
(2) سورة النور الآية : 61
(3) سورة المائدة الآية : 116
(4) الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية لابي نصر الجوهري (3/ 984) ، لسان العرب لابن منظور (6/ 234) ،
(5) تهذيب اللغة للأزهري (8/ 13)
(6) مفاتيح العلوم للخوارزمي (ص 156)
(7) التعريفات للجرجاني (ص 243)
(8) وذلك في سور متفرقة ، قال تعالى في سورة الفجر: ﴿يَـٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفْسُ ٱلْمُطْمَئِنَّةُ﴾ ، وفي سورة القيامة: ﴿وَلَآ أُقْسِمُ بِٱلنَّفْسِ ٱللَّوَّامَةِ﴾ وفي سور يوسف: ﴿وَمَآ أُبَرِّئُ نَفْسِىٓ ۚ إِنَّ ٱلنَّفْسَ لَأَمَّارَةٌۢ بِٱلسُّوٓءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّىٓ ۚ إِنَّ رَبِّى غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ .
(9) ينظر : التعريفات للجرجاني (ص 243) ، احياء علوم الدين للغزالي (4/ 3)
(10) سورة الشمس الآية : 10-9

قرر ذلك العلماء في كتب التزكية.[1]

المبحث الثاني :
الاثار النفسية للصدقة على الافراد

وفيه مطلبان ..

تمهيد :

الآثار النفسية للصدقة كثيرة ومتنوعة ، وفي هذا المبحث نسلط الضوء على أثرها على الفرد ، ودراسة الفرد قبل المجتمع مهمة كون المجتمع هو مجموعة الافراد ، فالتأثير عليهم ينسحب أثره على المجتمع قاطبة .

والأمر الأخر أن المعني هو الفرد بصورة عامة ذكرا كان أو انثى رئيسا أو مرؤوسا، فالجميع يقع عليهم تأثير الصدقة ، وهذه الأثار النفسية الايجابية يكون اثرها تارة واقعا على المتَصَدق من التواضع وحصول السكينة وقوة الأيمان وغيرها من الآثار، وتارة يكون على الفقير الذي يأخذ الصدقة .

المطلب الاول : الاثار النفسية على صاحب الصدقة

إن أهم وأعظم آثار الصدقة على النفس البشرية هو تزكيتها ، والاصل في هذا الباب قول الله عز وجل في سورة التوبة: ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ ۖ إِنَّ صَلَوٰتَكَ سَكَنٌ لَّهُمْ ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾[2] في الشطر الاول ذكرت الآية الكريمة أثرين كريمين طيبين للصدقة وهما التطهير والتزكية ، تطهرهم من دنس المعاصي والذنوب، وتزكي أنفسهم بإصلاحها، ورفع منزلتها ودرجاتها الى منازل المخلصين[3].

آثار الصدقة في التزكية على المتصدق فضلا عما تقدم :

1. إزالة البخل والشح من النفس : وذلك ان المتصدق اذا دعته نفسه الى الامساك وعدم الانفاق، فخالفها وقمع هوى نفسه وانفق زكت نفسه من هذه الخصلة الذميمة التي تمنع الخير عن صاحبها، وتمنع الخير عن الناس.

وقد اتفقت الفطر السليمة والاخبار على ذم البخل ومقته قال الله تعالى: ﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ يَبْخَلُونَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ هُوَ خَيْرًا لَّهُم ۖ بَلْ هُوَ شَرٌّ لَّهُمْ ۖ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُوا۟ بِهِۦ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۗ﴾[4] وقال: ﴿ٱلَّذِينَ يَبْخَلُونَ وَيَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبُخْلِ وَيَكْتُمُونَ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ ۗ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَٰفِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا﴾[5] اخرج النسائي رحمه الله عن ابي هريرة رضي الله عنه قال: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: (لَا يَجْتَمِعُ الشُّحُّ، وَالْإِيمَانُ فِي قَلْبِ عَبْدٍ أَبَدًا)[6] .

2. رقة القلب وسكينة النفس: إن لهذه القلوب مادتان مادة خير ومادة شر ، والقلب إذا خالطته المفسدات اصبح قاسيا ، وإذا خالطه الايمان واعمال البر خبت وسكن لذلك كانت الصدقة مما يعين على لين القلب ورقته ومما يستأنس في ذلك ما روي (أنَّ رجلًا شكا إلى النبيِّ ﷺ قَسْوَةَ قلبِهِ فقال: إنْ أَحْبَبْتَ أنْ يلينَ قلبُكَ فَامْسَحْ رَأْسَ اليَتِيمِ،

---

(1) ينظر : جامع البيان للطبري (24/443)، احياء علوم الدين للغزالي (1/265) ، فتح القدير للشوكاني (2/455)

(2) سورة التوبة الآية : 103

(3) ينظر : جامع البيان للطبري (11/659) ، تفسير ابن كثير (4/343) ، زاد المسير لابن الجوزي (2/294)

(4) سورة ال عمران الآية : 180

(5) سورة النساء الآية : 37

(6) اخرجه النسائي في سننه في كتاب الجهاد : فضل من عمل في سبيل الله على قدميه برقم : 3110 ، صححه الالباني ينظر: صحيح سنن النسائي (2/652)

وأَطْعِمِ المساكينَ)[1] وذلك أن المسح على رأس اليتيم ، واطعام المساكين من افعال المعروف، وهو ضرب من ضروب الصدقة فكان من أثرها لين القلب واخباته .

3. اكتساب خلق التواضع : لما كان الكِبر أصل الخطايا، وما يورثه من حب النفس وتصعير الخد عن الناس، ومحبة المال ومنعه عن مستحقيه، استحق التواضع ان يكون اصل المعروف . وان مما يزجر النفوس على التواضع هي الصدقة وبذل المعروف للناس، فلا يبذل الخير والصدقات المادية والمعنوية الا النفوس الكبيرة المتواضعة [2].

4. الصدقة تطهر العبد من الذنوب ومن كل خلق رذيل : في الآية الكريمة: ﴿تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا﴾[3] أي: تطهرهم من الذنوب والأخلاق الرذيلة. ﴿وَتُزَكِّيهِم﴾ أي: تنميهم، وتزيد في أخلاقهم الحسنة، وأعمالهم الصالحة، وتزيد في ثوابهم الدنيوي والأخروي ، وتنمي أموالهم[4].

5. الصدقة باب من ابواب الزهد في الدنيا : الانسان في جبلته شديد الحب للمال كما وصفه الله جل وعلا: ﴿وَإِنَّهُۥ لِحُبِّ ٱلْخَيْرِ لَشَدِيدٌ﴾[5] والنفوس مجبولة على حرصها على ما تحب ان لا يضيع منها ولا يفقد ، فأصحاب الصدقات زهدوا بما عندهم من الخير والمال ابتغاء ما عند الله من النعيم المقيم ، فآثروا الاخرة الباقية على الفانية العاجلة ، اورثهم ذلك غنى في قلوبهم ، وكفاية في نفوسهم[6] .

6. الصدقة دليل الايمان والتوكل : فالصدقة دليل زيادة الايمان ، والامساك دليل نقص وضعف الايمان ، فالقلوب المتوكلة على الله ، والمؤمنة بكمال عظمة الله وقدرته ، وانه مسبب الاسباب وانه هو الرزاق لا يمسكون ايديهم خشية الفقر والفاقة لعلمهم وحسن توكلهم على ربهم قال الله تعالى: ﴿مَّن ذَا ٱلَّذِى يُقْرِضُ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَٰعِفَهُۥ لَهُۥٓ أَضْعَافًا كَثِيرَةً ۚ وَٱللَّهُ يَقْبِضُ وَيَبْصُۜطُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾[7] وقال النبي ﷺ (الصدقة برهان)[8] أي: حجة ودليل على صحة إيمان صاحبها لطيب نفسه بإخراجها؛ وذلك لعلاقة ما بين النفس والمال، وأصل البرهان الوضوح، يقال: هذا برهان هذا الأمر، أي: وضوحه[9] .

7. صاحب الصدقات شجاع قوي القلب على الاقدام لا يتصف بالجبن : وذلك ان العطاء ليست كل النفوس تطيقه ، فالكرم شجاعة ، والاقدام على بذل المعروف مروءة وشرف يتنافس فيه الابطال من الناس ، وتجد الجبناء يتأخرون عن طريق الصدقة ،

(1) اخرجه الامام احمد في مسنده من حديث ابي هريرة برقم : 7576 واسناده ضعيف لإبهام الراوي له عن ابي هريرة

(2) وذلك لان التواضع مأخوذ من الخفض والحط للنفس من ان تتكبر فيفضي ذلك الى الاستعلاء والمن على الخلق بعطية او معروف قال تعالى ﴿ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ثُمَّ لَا يُتْبِعُونَ مَآ أَنفَقُواْ مَنًّا وَلَآ أَذًى﴾ البقرة: 226 المنّ: أن يذكر المحسن إحسانه على المنفق عليه، ويظهر تفضله عليه، فيقول: قد أحسنت إليه وجبرت حاله. ينظر: التفسير المنير للزحيلي (3/41)

(3) سورة التوبة الآية : 103

(4) تيسير الكريم الرحمن لعبد الرحمن السعدي (ص350)

(5) سورة العاديات الآية : 8

(6) الزهد: خلاف الرغبة. تقول: زهد في الشيء وعن الشيء، فالمتصدق رغب عن كثير من المباحات وزهد فيها طاعة لله وانشغالا بما هو افضل من الطاعات والعبادات .

(7) سورة البقرة الآية : 245

(8) اخرجه مسلم في صحيحه في كتاب الطهارة : باب فضل الوضوء برقم : 223

(9) مطالع الانوار على صحاح الاثار لابن قرقول (1/478)

وقد أحسن من قال :

لَولا المَشَقَّةُ سادَ الناسُ كُلُّهُمُ
الجودُ يُفقِرُ وَالإِقدامُ قَتّالُ[1]

المطلب الثاني : الآثار النفسية على الفقير

بعد ذكر آثار الصدقة على المتَصدِقِ لابد من ذكر آثرها على المُتصَدَّقِ عليه ، وآثار الصدقة على الفقير كثيرة منها سد حاجته وفاقته ، واستغناءه عن سؤال الناس وغيرها، ولكن في هذا المطلب نركز على ذكر الآثار النفسية فقط دون ذكر الآثار الاخرى للصدقة .

1. تطهير القلب من الحقد والحسد والضغينة: وذلك ان الفقير حينما يرى الاغنياء حوله قد استغنى احدهم عن الناس ، وانشغل بتيسير وتدبير اموره ، وان وجوه الناس مصروفة إليهم ، شعر الفقير بحسرة في قلبه على فقدانه لهذه الاموال وهذا الجاه .

وقد جرَّت هذه الحسرة والحاجة الى امورٍ اشد واصعب ، بدءا من الضغينة والحقد على هؤلاء الاغنياء - خصوصا وانهم مُعروضون عن الفقراء صارفون لوجوههم عنهم ، ومانعيهم من حقهم في هذا المال ومنشغلون بأشباههم من الاغنياء- وانتهاءاً بحسدهم وتمنيهم زوال هذا المال عن الاغنياء وسعيهم في زواله ليكونوا سواءً.

والعلاج لهذا الداء هو دواء الصدقة ، فإن الغني بعد أن يعطي حق الفقير ، ورأى الفقير ان الغني يخرج من حر ماله له ، انطفأت نار الحقد في قلبه وذهبت شرارة الحسد من نفسه ، فاذا بردت نار القلوب عاش المجتمع بسلام ووئام[2].

ومن ذلك ما ورد من سجال الفقراء والاغنياء في زمن النبوة ما ذكره البخاري في صحيحه عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: (جاء الفقراء إلى النبي ﷺ فقالوا: ذهب أهل الدثور من الأموال بالدرجات العلا والنعيم المقيم، يصلون كما نصلي، ويصومون كما نصوم، ولهم فضل من أموال يحجون بها ويعتمرون، ويجاهدون ويتصدقون، قال: ألا أحدثكم إن أخذتم أدركتم من سبقكم، ولم يدرككم أحد بعدكم، وكنتم خير من أنتم بين ظهرانيه إلا من عمل مثله، تسبحون وتحمدون وتكبرون خلف كل صلاة ثلاثا وثلاثين)[3].

زاد مسلم (فرجع فقراء المهاجرين إلى رسول الله ﷺ. فقالوا: سمع إخواننا أهل الأموال بما فعلنا. ففعلوا مثله. فقال رسول الله ﷺ: ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء)[4].

وعن أبي ذر ﷺ؛ أن ناسا من أصحاب النبي ﷺ قالوا للنبي ﷺ: (يا رسول الله! ذهب أهل الدثور بالأجور يصلون كما نصلي ، ويصومون كما نصوم ، ويتصدقون بفضول أموالهم.

قال: أو ليس قد جعل الله لكم ما تصدقون؟ إن بكل تسبيحة صدقة ، وكل تكبيرة صدقة ، وكل

---

(1) شرح ديوان المتنبي لابي العلاء المعري (ص 1085)

(2) إن المال وديعة عند الغني وللفقير حق فيه ودليل ذلك ما ورد في حديث بَعْث معاذ الى اليمن قال النبي ﷺ (أن الله افترض عليهم صدقة في أموالهم، تؤخذ من أغنيائهم وترد على فقرائهم) اخرجه البخاري ولا ينحصر ذلك في الزكاة الواجبة فقط بل يجب دفع الحاجة ايضا قال ابن العربي : إذا وقع أداء الزكاة ونزلت بعد ذلك حاجة فإنه يجب صرف المال إليها باتفاق من العلماء. ينظر : احكام القرآن (88/ 1).

(3) اخرجه البخاري في صحيحه في كتاب الاذان : باب الذكر بعد الصلاة برقم : 843 ، وفي كتاب الدعوات : باب الدعاء بعد الصلاة برقم : 6329

(4) اخرجه مسلم في صحيحه في كتاب المساجد ومواضع الصلاة : باب استحباب الذكر بعد الصلاة ، وبيان صفته برقم : 595

تحميدة صدقة ، وكل تهليلة صدقة ، وأمر بالمعروف صدقة ، ونهي عن منكر صدقة ، وفي بضع أحدكم صدقة»، قالوا: يا رسول الله!

أيأتي أحدنا شهوته ويكون له فيها أجر؟ قال: «أرأيتم لو وضعها في حرام أكان عليه فيها وزر؟ فكذلك إذا وضعها في الحلال كان له أجرا)[1].

2. الفرح والسرور : من الامور التي يحبها الانسان وتسكن اليها نفسه هو تَيسير الامور والعيش الرغيد، فالنفوس تتشوق للعاجل، وتتضجر من انتظار الآجل، فاذا حصلت النفس على ما تبتغيه ادخل ذلك الامر الفرح والسرور عليها فانعكس ذلك على حياة الشخص وسرت نفسه وانكشف غمه ولوكان ذلك لزمن يسير قال تعالى واصفا الانسان: ﴿وَإِنَّهُۥ لِحُبِّ ٱلْخَيْرِ لَشَدِيدٌ ﴾[2] .

3. صدقة الغني درس عملي للفقير أن هذا المال ليس فقط لقضاء حاجتك وحاجة من تعول كذلك الجاه والمنصب والكلمة ، لكن لا بد من فعل المعروف ، وفعل الصدقة ليس محصورا في المال كما ذكرنا في مفهوم الصدقة ، كذلك ليس هو حكرا على الاغنياء دون الفقراء ، فيمكن للفقير أن يجد طريقا يتصدق به فباب الصدقة باب واسع قال النبي ﷺ لبعض اصحابه من الفقراء : أو ليس قد جعل الله لكم ما تصدقون؟ إن بكل تسبيحة صدقة..... وأمر بالمعروف صدقة ، ونهي عن منكر صدقة)[3] الحديث .

المبحث الثالث : الآثار النفسية للصدقة على المجتمع وفيه ثلاثة مطالب

تمهيد:

من الامور المهمة التي ينبغي العناية بدراستها وايلائها بالبحث والتفتيش هي الامور التي تخص المجتمع ، فلا يمكن ان نُعنى بتوجيه البوصلة تجاه الفرد بمعزل عن المجتمع ، ولا دراسة المجتمع بعيدا عن دراسة الاسرة وهكذا.

وقد بينت في المبحث السابق جملة من الآثار النفسية التي تتركها الصدقة على نفوس الافراد ، أبيّن هنا اثارها على المجتمع ، فكما ان هناك نفسية للفرد فكذلك هناك نفسية للمجتمع ، ونفسية المجتمع هي مجموعة السمات التي تسود بين افراد ذلك المجتمع .

والآثار النفسية للصدقة على المجتمع مبنية على التفاعل بين افراده ، وما يمكن ان يحصل بينهم من تفاعل سلبي ، والشريعة الاسلامية قد قررت في جوهر تشريعاتها رزمة من المفاهيم ضبطت من خلالها ذلك التفاعل في المجتمع واحسنت نظامه.

ومن جملة هذه التشريعات الصدقة وما لها من أثر نفسي على المجتمع ، فهي من الامور التي تجعله يتفاعل بشكل ايجابي مع بعضه البعض منتجا في ذلك مجتمعا متكافلا يسوده الامان والاستقرار، يتحقق فيه الترابط والشعور بالانتماء والعدالة الاجتماعية.

المطلب الاول: التكافل وتحقيق العدالة الاجتماعية

أهم آثار الصدقة على المجتمع هو ايقاد شعلة التكافل وبث روح التعاون بين افراد المجتمع المسلم ، وشعور الافراد بالمسؤولية تجاه بعضهم

(1) اخرجه مسلم في صحيحه في كتاب الزكاة : باب بيان أن اسم الصدقة يقع على كل نوع من المعروف برقم : 1006

(2) سورة العاديات الآية : 8

(3) سبق تخريجه ص 14

البعض ، بحيث يساعد الغني الفقير ، والقوي الضعيف ، والعالم الجاهل .

قال الله تعالى: ﴿وَتَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلۡبِرِّ وَٱلتَّقۡوَىٰۖ وَلَا تَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلۡإِثۡمِ وَٱلۡعُدۡوَٰنِۚ﴾[1] ، اخرج مسلم من حديث النعمان بن بشير رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ : (مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم، مثل الجسد. إذا اشتكى منه عضو، تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى)[2] .

تكافل المجتمع المسلم ما هو الا نتيجة اسباب وقواعد بُنيَ عليها ، ومحركات ادت إلى قطف هذه النتائج المثمرة والمجتمع المتكافل يسوده التراحم والمحبة والوئام ، الناس فيه سواسية كأسنان المشط يكمل بعضهم البعض ، يسد احدهم عثرة الاخر .

فلا يطغى فيه الغني ويستأثر ، ولا يُستغل فيه الفقير ويهمش بل تكون كرامته ومكانته في المجتمع محفوظة ، فعندما يُعان ويُكرم بالصدقة، يشعر أنّه جزء من هذا المجتمع، فيزداد ولاؤه له ويحرص على سلامته واستقراره ، كما يشعر الغني بالانتماء من خلال دوره في خدمة مجتمعه ، فلا يستعلي او يتكبر بسبب أُعطياته او معروفه ، وانما هي عبادة يتعبد فيها لربه ، فالغني مُتَعبِد بالعطاء والشكر، والفقير متَعبِد بالقبول والصبر. وهذه من الاثار الحسنة للصدقة على النفوس.

والتكافل الاجتماعي هو مظهر من مظاهر تحقيق العدالة الاجتماعية ، وهي توزيع الحقوق والفرص بشكل منصف بين المجتمع ، دون تمييز ، وبهذا يتبين ان التكافل هو من اهم الطرق والمسالك التي تعين على تحقيق العدالة الاجتماعية واحلال مبادئها بين المجتمعات[3] .

المطلب الثاني : تقوية الروابط الاجتماعية

لا شك أن الصدقة بمفهومها العام هي وسيلة من الوسائل التي تساهم في تقوية الروابط الاجتماعية بين افراد المجتمع ، وذلك لكون الصدقة ليست عبادة مالية أو نفعية فقط ، بل هي مشهد من المشاهد الروحانية والانسانية التي تمنح الإنسان الآخر الرعاية والاهتمام ، وهذا بدوره ينشأ أواصر متينة من المودة والتواصل بين الأفراد وبالتالي بين المجتمع .

ومن التطبيقات العملية للصدقة واثرها النفسي والتربوي ما روي عن ابي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ انه قال: (تهادوا تحابوا)[4] وفي لفظ اخر(تهادوا، فإن الهدية تذهب وحر الصدر)[5]، والهدية نوع من انواع العطايا ، ولكنها ليست مجرد عطية ، ولكنها اسلوب تربوي يزكي النفوس، ويذهب وحر الصدور ويثمر المحبة والمودة، وصفاء القلوب .

فان لكل تشريع حِكم وعلل بعضها معلوم وبعضعها قد اخفى الشارع حكمته ، فمن غايات وحكم الهدايا والعطايا هي دوام التواصل بين افراد

(1) سورة المائدة من الآية : 2

(2) اخرجه مسلم في صحيحه في كتاب البر والصلة والآداب : باب تراحم المؤمنين وتعاطفهم وتعاضدهم برقم : 2586 ، واخرجه البخاري في صحيحه في كتاب الادب : باب رحمة الناس والبهائم برقم : 6011

(3) ينظر : فقه الزكاة يوسف القرضاوي (883-880/ 2)

(4) اخرجه البخاري في الادب المفرد في باب قبول الهدية برقم : 594

(5) اخرجه الامام احمد في مسنده في مسند ابي هريرة رضي الله عنه : 9250 وحسنه شعيب الارنؤوط في تحقيقه للمسند ، واخرجه الترمذي في سننه في ابواب الولاء والهبة عن رسول الله ﷺ : باب حث النبي صلى الله عليه وسلم على التهادي برقم : 2130 بزيادة (ولا تحقرن جارة لجارتها ولو شق فرسن شاة).

المجتمع المسلم ولا يمكن ان تنقطع وشائج التواصل بين افراد المجتمع المسلم ما دامت القلوب متصافية ومتوادة متواصلة ، وحتى في اشد حالات الخصام والعداوة تجد الشارع يحث على الصدقة لعظيم ثمرتها وقوة اثرها على القلوب.

فقد اخرج الامام احمد وغيره من حديث حكيم بن حزام رضي الله عنه : أن رجلا سأل رسول الله ﷺ عن الصدقات أيها أفضل؟ قال: (على ذي الرحم الكاشح)[1] ومعنى الكاشح أنه العدو الذي يضمر العداوة في كشحه وهو خصره يعني أن أفضل الصدقة على ذي الرحم المضمر العداوة في باطنه، فالصدقة عليه أفضل منها على ذي الرحم الغير كاشح لما فيه من قهر النفس للإذعان لمعاديها[2].

ومع ما في هذا التوجيه النبوي من حكم وغايات فهو مشهد من مشاهد الاخلاص، ومقابلة مَن يبغضك بما تحب طاعة لله ، ففيه مشهدا تربويا يعالج النفوس ، و يرنو الى لم الشمل وتقريب القلوب المتقاطعة، وقطع علائق البغضاء ، فالصدقة هنا ان لم تقم بإزالة الاحقاد وترميم القلوب مع بعضها البعض ، فعلى اقل تقدير انها تخفف الشر والعداوات وهذا هو مفتاح ازالتها[3] .

الحاصل أن العلاقات والروابط الاجتماعية مبنية على اسس رصينة ، واهمها هو صفاء القلوب ، فإذا صفت شرعت في بناء جسور الثقة والاحترام المتبادل بين الافراد ، وبذلك تزيل الحواجز النفسية والطبقية التي قد تؤدي الى الفصل بين شرائح المجتمع ، فيتحول المجتمع الى كيان متماسك تسوده الألفة والتعاون ، مما يقوي بنيته الداخلية .

فالصدقة تُربّي في النفوس الشعور بأن كل فرد مسؤول عن غيره، وهذا يُنمّي روح المبادرة لحل المشكلات المجتمعية ، لا سيما في أوقات الأزمات والكوارث ، فيجعل المجتمع أكثر قدرة على تجاوز المحن والتحديات [4].

المطلب الثالث : تنمية الاخلاق الفاضلة

كما ان الشر وطباعه عدوى كذلك الخير وافعاله عدوى ، فالإنسان بخلقته يتأثر بمحيطه ، ويتأثر بغيره سواء بالطباع أو الاقوال أو الافعال، وهذا التأثير والتَأَثُر اذا كان ايجابيا فانه مما يحمد ، والادلة والشواهد على ذلك كثيرة منها ما ذكره عمر رضي الله عنه من تأثر نساء المهاجرين بنساء الانصار قال: كنا معشر قريش نغلب النساء، فلما قدمنا على الأنصار إذا هم قوم تغلبهم نساؤهم، فطفق نساؤنا يأخذن من أدب نساء الأنصار[5] .

في هذا المطلب اعرج على مدى تأثير الصدقة في تنمية الاخلاق الفاضلة في المجتمع واثرها النفسي في ذلك ، وهذه الاخلاق الفاضلة هي قلب المجتمع النابض التي يستمد المجتمع منه عافيته النفسية والروحية، وبفقدها يفقد المجتمع اسسه وجماله ورونقه، وعلى سبيل الاختصار اذكر بعضا من الاخلاق الفاضلة التي تنميها الصدقة :

– على رأس هذه الاخلاق خلق الايثار الذي هو معيار صحة المجتمع ودليل حياته ، كما ذكر الله

(1) اخرجه الامام احمد في مسنده في مسند المكيين : مسند حكيم بن حزام برقم : 15320 ، قال شعيب الارنؤوط في تحقيقه للمسند حديث صحيح وهذا اسناد ضعيف . ينظر : مسند احمد (36/ 24)

(2) ينظر : فيض القدير لعبد الرؤوف المناوي (38/ 2) ، فتح القريب المجيب للفيومي (537/ 10)

(3) ينظر : فقه الزكاة يوسف القرضاوي (2/ 905-902)

(4) ينظر : المصدر نفسه (2/ 906)

(5) جزء من حديث طويل اخرجه البخاري في كتاب المظالم : باب الغرفة والعلية المشرفة وغير المشرفة في السطوح وغيرها برقم : 2468

تعالى عن مجتمع اهل المدينة ، وهو من المجتمعات النموذجية في العصر الاسلامي .

فقد مدحهم الله بصفات عظيمة منها الايثار قال الله تعالى: ﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ﴾[1] قال ابن كثير[2] في التفسير : يعني: حاجة؛ أي: يقدمون المحاويج على حاجة أنفسهم ويبدءون بالناس قبلهم في حال احتياجهم إلى ذلك[3] ، وقد صح عن النبي ﷺ أنه قال: (أفضل الصدقة جهد المقلّ)[4] فهذا كله يبين عظيم منزلة الايثار وعلو شأنها.

– ومن الاخلاق الفاضلة ايضا تمكين مبدأ القدوة والاسوة الحسنة في نفوس المجتمع ، فلا بد في المجتمع في كل مكان وزمان منارة عملية يستنير بها الناس ، وقدوات تكون مثالا حيا ، ونماذج ايجابية يُحتذي بها تشجع الاخرين على فعل الخير وبذل الصدقة والمعروف [5].

– ومنها نشر قيم العطاء والايجابية والمحبة والالفة، فالصدقة تُعلّم الناس حب الخير والعمل الإنساني، مما يُشجع على المبادرات الطيبة، ويُحوّل المجتمع إلى بيئة إيجابية مليئة بالمحبة والعمل الصالح قال تعالى: ﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ﴾[6] الى الخير: ما فيه المنفعة وصلاح الناس في الدين والدنيا[7] .

– كذلك احلال مبدأ السعادة وزرع الفرح والسرور في ربوع المجتمع المسلم، فالكفاية، والتكافل ، ومد يد العطاء وبذل المعروف كفيل بإدخال الافراح والسرور على المجتمع. وهذا كله من الاخلاق الفاضلة التي يرتضيها الشارع ويحث عليها، ويستحسنها اصحاب العقول الراجحة والقلوب السليمة .

– ومنها تمكين خلق التواضع ومحق الطبقية بين افراد المجتمع المسلم ، ورفع الروح المعنوية في الفئات المهمشة فان المحتاج إذا شعر أنّ هناك من يُعطيه دون منٍّ أو أذى، ترتفع معنوياته، ويشعر بأن حياته تستحق أن تُعاش بكرامة، فيسعى إلى تطوير نفسه بدلًا من الاستسلام للضعف ، ليكون المجتمع متكافئ في جميع مرافقه .

والقصص في حياة الصحابة وزمن النبوة كثيرة منها ما ذكره جرير بن عبد الله قال: كنا عند رسول الله ﷺ في صدر النهار. قال: فجاءه قوم حفاة عراة مجتابي النمار أو العباء[8]. متقلدي السيوف. عامتهم من مضر. بل كلهم من مضر.

فتمعر وجه رسول الله ﷺ لما رأى بهم من الفاقة. فدخل ثم خرج. فأمر بلال فإذن وأقام. فصلى ثم خطب فقال: « ﴿يا أيها الناس اتقوا ربكم الذى خلقكم من نفس واحدة﴾[9] إلى آخر الآية. ﴿إن

(1) سورة الحشر من الآية : 9

(2) ابن كثير : أبو الفداء، إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصروي ثم الدمشقيّ ، عماد الدين الامام الحافظ المؤرخ الفقيه توفي سنة 774 هـ . ينظر: المعجم المختص بالمحدثين للذهبي (ص 74) ، الاعلام للزركلي (1/320)

(3) تفسير القران العظيم لابن كثير (8/70)

(4) اخرجه ابو داود في سننه في كتاب الزكاة : باب في الرخصة في ذلك برقم : 1677 ، واخرجه الامام احمد في مسنده في مسند ابي هريرة برقم : 8702 ، وصحح اسناده شعيب الارنؤوط في تحقيقه للمسند .

(5) قال تعالى: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾ [الأحزاب: 21] وقال: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقْتَدِهْ﴾ [الأنعام: 90]

(6) سورة ال عمران : الآية 104

(7) التفسير المنير للزحيلي (4/32)

(8) أي : لابسيها خارقين أوساطها مقورين. تحقيق صحيح مسلم لمحمود فؤاد عبد الباقي (2/704)

(9) سورة النساء : الآية 1

الله كان عليكم رقيبا﴾. والآية التي في الحشر: ﴿اتقوا الله ولتنظر نفس ما قدمت لغد واتقوا الله﴾[1] .

تصدق رجل من دیناره، من درهمه، من ثوبه، من صاع بره، من صاع تمره (حتى قال) ولو بشق تمرة «قال: فجاء رجل من الأنصار بِصُرة كادت كفه تعجز عنها. بل قد عجزت.

قال: ثم تتابع الناس ، حتى رأيت كومين من طعام وثبات. رأيت وجه رسول الله ﷺ يتهلل. كأنه مذهبة فقال رسول الله ﷺ:

«من سن في الإسلام سنة حسنة، فله أجرها، وأجر من عمل بها بعده. من غير أن ينقص من أجورهم شيء.

ومن سن في الإسلام سنة سيئة، كان عليه وزرها ووزر من عمل بها من بعده. من غير أن ينقص من أوزارهم شيء»[2] .

الخاتمة

الحمد لله على النعم الغزار ، والخير المدرار، والصلاة والسلام على النبي المختار واله وصحبه الابرار اما بعد :

إن الاقتباس من نور الوحيين نعمة من نعم الله تعالى يرى فيها المسلم عظمة التشريع ، ويدرك عظمة المشرع سبحانه وتعالى ، وبعد الطواف في هذا الجلال والجمال الذي تجلى في شعيرة الصدقة حيث سطعت انوارها على النفس البشرية افرادا ومجتمعات أُلخِص الآتي .

النتائج :

– إن مفهوم الصدقة لا ينحصر في العطية المادية فقط بل يدخل في الصدقة بذل كل معروف .

– أهم آثار الصدقة على النفس البشرية هو تزكيتها وتطهيرها من الشح والبخل ، وترقيق القلب وسكينة النفس .

– الصدقة تزرع في قلب العبد المسلم الزهد في الدنيا ، وتنمي خلق التوكل على الباري في النفوس والقلوب .

– إن الصدقة باب من ابواب الفرح والسرور فهي تدخل على نفس المُتصَدق والمحتاج السعادة وانشراح القلب .

– أثر الصدقة على المجتمع يتجلى في ايقاد شعلة التكافل وبث روح التعاون ، وشعور الافراد بالمسؤولية تجاه بعضهم البعض .

– من أعظم آثار الصدقة أنها تساهم في تقوية الروابط الاجتماعية وذلك بمعالجتها للأسباب الحقيقية التي تؤدي للفرقة وتقطيع أوصال المجتمع.

الصدقة باب واسع من ابواب غرس بذور الخلق الفاضل في المجتمع ، كخلق الايثار ، والتربية بمبدأ الاسوة الحسنة ، ونشر قيم العطاء والايجابية والالفة .

– كثرة النصوص في الصدقة وبذل المعروف في القران والسنة ما هو الا دليل واضح على عظم شأن هذه الشعيرة واهميتها في حياة الفرد والمجتمع المسلم ، وعظم اثارها المادية والمعنوية .

---

(1) سورة الحشر : الآية 18

(2) اخرجه مسلم في كتاب الزكاة : باب الحث على الصدقة ولو بشق تمرة أو كلمة طيبة، وأنها حجاب من النار برقم : 1017

التوصيات :

بعد الوصية باللهج بكثرة الامر بتقوى الله عز وجل في السر والعلن ، لجمالها و كثرة فوائدها الوصية بالتوجه نحو الدراسات الموضوعية وحسن ربطها بالمشاكل التي يعاني منها المجتمع المسلم واستلهام الدروس والفوائد من التوجيهات القرآنية والنبوية .

وأيضا الوصية بالاهتمام بموضوع الصدقة عملا ودعوة وتأصيلا وبحثا وتقعيدا ، لما تلمسته فيها من الاثر النبيل ، والعلاج النافع للقلوب والابدان على حد سواء .

نسأل الله ان يتقبل منا ما كتبناه وان يجعله ذخرا لنا، يوم لا ينفع الا المُدَّخر، فما كان فيما ذكرنا من توفيق فمن الله وحده، والله اسأل ان يعصمني وقلمي من الزلل والخلل وآخر دعوانا ان الحمد لله رب العالمين .

المصادر والمراجع

1. **أحكام القرآن** : القاضي محمد بن عبد الله أبو بكر بن العربي المعافري الاشبيلي المالكي (المتوفى: 543هـ) راجع أصوله وخرج أحاديثه وعلَّق عليه: محمد عبد القادر عطا ، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان ، ط3 ، 1424 هـ – 2003 م .
2. **إحياء علوم الدين** : أبو حامد محمد بن محمد الغزالي الطوسي (المتوفى: 505هـ) ، دار المعرفة – بيروت .
3. **الأدب المفرد** : لمحمد بن إسماعيل البخاري (ت 652 هـ) حققه وقابله على أصوله: سمير بن أمين الزهيري ط: مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الرياض ، الطبعة: الأولى، 9141 هـ – 8991 م.
4. **الأعلام** : خير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس، الزركلي الدمشقي (المتوفى: 1396هـ) ، دار العلم للملايين ط15 ، أيار / مايو 2002 م .
5. **تاج العروس من جواهر القاموس**: محمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق الحسيني، أبو الفيض، الملقّب بمرتضى، الزَّبيدي (ت: 1205هـ)، المحقق: مجموعة من المحققين، وزارة الإرشاد والأنباء في الكويت – المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب بدولة الكويت ط: دار الهداية.
6. **تاريخ دمشق**: أبو القاسم علي بن الحسن بن هبة الله المعروف بابن عساكر (ت: 571هـ)، المحقق: عمرو بن غرامة العمروي، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، عام النشر: 1415 هـ – 1995م.
7. **تفسير القرآن العظيم** : أبو الفداء إسماعيل بن

عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (المتوفى: 774هـ) المحقق: سامي بن محمد سلامة ، دار طيبة للنشر والتوزيع ط2، 1420 هـ - 1999 م .

8. **التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج** : وهبة الزحيلي ، الناشر: دار الفكر (دمشق - سورية)، دار الفكر المعاصر (بيروت - لبنان) ، الطبعة: الأولى، 1411 هـ - 1991م.

9. **تهذيب اللغة**: محمد بن أحمد بن الأزهري الهروي، أبو منصور (ت: 370هـ)، المحقق: محمد عوض مرعب، دار إحياء التراث العربي - بيروت، ط1، 2001م.

10. **التوقيف على مهمات التعاريف** : عبد الرؤوف بن المناوي (952 - 1031 هـ) تحقيق د عبد الحميد صالح حمدان ط : عالم الكتب، القاهرة - مصر الطبعة: الأولى، 1410 هـ - 1990 م.

11. **تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان** : لعبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله السعدي (ت 1376هـ) ت: عبد الرحمن بن معلا اللويحق، الناشر: مؤسسة الرسالة ، الطبعة: الأولى 1420هـ -2000 م.

12. **جامع البيان في تأويل القرآن**: محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري (المتوفى: 310هـ)، المحقق: أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، ط1، 1420 هـ - 2000 م.

13. **جامع العلوم والحكم في شرح خمسين حديثاً من جوامع الكلم** : زين الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن شهاب الدين الشهير بابن رجب (ت 795 هـ)، تعليق وتحقيق: الدكتور ماهر ياسين الفحل ، ط : دار ابن كثير، دمشق - بيروت ، الطبعة: الأولى، 1429 هـ - 2008 م.

14. **الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله ﷺ وسننه وأيامه صحيح البخاري**: محمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري الجعفي، المحقق: محمد زهير بن ناصر الناصر، دار طوق النجاة (مصورة عن السلطانية بإضافة ترقيم ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي)، ط1: 1422هـ

15. **دستور العلماء = جامع العلوم في اصطلاحات الفنون** : للقاضي عبد النبي بن عبد الرسول الأحمد نكري (ت ق 12 هـ)، عرب عباراته الفارسية: حسن هاني فحص ط: دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، الطبعة: الأولى، 1421 هـ - 2000 م.

16. **زاد المسير في علم التفسير**: جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي (ت: 597هـ)، المحقق: عبد الرزاق المهدي: دار الكتاب العربي - بيروت، ط1 - 1422 هـ

17. **سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها**: محمد ناصر الدين الألباني [ت 1420 هـ] ، ط : مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الرياض، الطبعة: الأولى .

18. **سنن أبي داود**: أبو داود سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير بن شداد بن عمرو الأزدي السِّجِسْتاني (ت: 275هـ)، المحقق: محمد محيي الدين عبد الحميد المكتبة العصرية، صيدا - بيروت.

19. **سنن الترمذي**: محمد بن عيسى بن سَوْرة بن موسى بن الضحاك، الترمذي، أبو عيسى (ت: 279هـ)، تحقيق وتعليق: أحمد محمد شاكر، مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي - مصر، ط2، 1395 هـ - 1975 م.

20. **سنن النسائي**: لابي عبد الرحمن أحمد بن شعيب النسائي (ت 303 هـ) تحقيق : مجموعة من المحققين ط : دار الرسالة العالمية ، الطبعة: الأولى، 1439 هـ - 2018 م
21. **سير أعلام النبلاء**: شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذهبي (ت: 748هـ)، مؤسسة الرسالة ، الطبعة: الثالثة، 1405 هـ - 1985 م .
22. **الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية** : لابي نصر إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي (ت 393هـ) تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار ط: دار العلم للملايين - بيروت ، الطبعة: الرابعة 1407 هـ - 1987م.
23. **صحيح سنن النسائي** : صحح أحاديثه: محمد ناصر الدين الألباني ، أشرف على طباعته والتعليق عليه وفهرسته: زهير الشاويش [ت 1434 هـ] ، ط : مكتب التربية العربي لدول الخليج - الرياض الطبعة: الأولى، 1409 هـ - 1988م.
24. **صحيح مسلم** : لابي الحسين مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري (ت 261 هـ)، تحقيق : محمد فؤاد عبد الباقي ، ط : مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه، القاهرة ، (ثم صورته دار إحياء التراث العربي ببيروت، وغيرها) 1374 هـ - 1955 م .
25. **طبقات الحفاظ** : عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (المتوفى: 911هـ) ، دار الكتب العلمية - بيروت ، الطبعة: الأولى، 1403 .
26. **طبقات الشافعية الكبرى**: تاج الدين عبد الوهاب بن تقي الدين السبكي (ت: 771هـ)، المحقق: د. محمود محمد الطناحي د. عبد الفتاح محمد الحلو، هجر للطباعة والنشر والتوزيع، ط1، 1413هـ.
27. **الفائق في غريب الحديث والأثر** : لابي القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله (ت 538 هـ) تحقيق علي محمد البجاوي - محمد أبو الفضل إبراهيم ط : دار المعرفة - لبنان .
28. **فتح القدير** : محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني اليمني (ت 1250هـ) ط: دار ابن كثير، دار الكلم الطيب - دمشق، بيروت ، الطبعة: الأولى - 1414 هـ
29. **فتح القريب المجيب على الترغيب والترهيب**: أبو محمد حسن بن علي بن سليمان البدر الفيومي القاهري (ت 870 هـ) ، دراسة وتحقيق وتخريج: أ. د. محمد إسحاق محمد آل إبراهيم، مكتبة دار السلام، الرياض - المملكة العربية السعودية الطبعة: الأولى، 1439 هـ - 2018 م.
30. **فقه الزكاة دراسة مقارنة**: يوسف القرضاوي، مؤسسة الرسالة، الطبعة الثانية 1393هـ-1973م.
31. **فيض القدير شرح الجامع الصغير** : زين الدين محمد المدعو بعبد الرؤوف بن تاج العارفين بن علي بن زين العابدين الحدادي ثم المناوي القاهري (ت 1031هـ)، المكتبة التجارية الكبرى - مصر ، الطبعة: الأولى، 1356 هـ.
32. **القاموس المحيط**: مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروزآبادى (ت: 817هـ) تحقيق: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، بإشراف: محمد نعيم العرقسُوسي مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ط8، 1426 هـ - 2005 م.

33. **كتاب التعريفات**: علي بن محمد بن علي الزين الشريف الجرجاني (المتوفى: 816هـ) ، المحقق: جماعة من العلماء بإشراف الناشر ، دار الكتب العلمية بيروت – لبنان ، ط1 ، 1403هـ -1983م .

34. **كتاب العين** : أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم الفراهيدي البصري (المتوفى: 170هـ) ، المحقق: د مهدي المخزومي، د إبراهيم السامرائي ، دار ومكتبة الهلال .

35. **اللامع العزيزي شرح ديوان المتنبي** : أبو العلاء أحمد بن عبد الله المعري (363 – 449هـ) ، تحقيق: محمد سعيد المولوي ، ط: مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، الطبعة: الأولى، 1429 هـ – 2008 م

36. **لسان العرب**: محمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعى الإفريقى (ت: 711هـ)، دار صادر – بيروت، ط3، – 1414 هـ.

37. **مسند احمد** : أبو عبدالله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني (ت:241هـ)، المحقق، شعيب الارنؤوط- عادل مرشد، مؤسسة الرسالة، ط1، 1421هـ-2001م.

38. **مطالع الأنوار على صحاح الآثار**: إبراهيم بن يوسف بن أدهم الوهراني الحمزي، أبو إسحاق ابن قرقول (ت 569هـ) ، تحقيق: دار الفلاح للبحث العلمي وتحقيق التراث، ط: وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية – دولة قطر ، الطبعة: الأولى، 1433 هـ – 2012 م.

39. **المعجم المختص بالمحدثين** : شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذهبي (ت 748هـ) ت: د. محمد الحبيب الهيلة، مكتبة الصديق، الطائف ، الطبعة: الأولى، 1408 هـ – 1988م.

40. **معجم مقاييس اللغة** : لاحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، أبو الحسين (ت 395هـ)، تحقيق عبد السلام محمد هارون ، ط: دار الفكر 1399هـ – 1979م.

41. **مفاتيح العلوم**: محمد بن أحمد بن يوسف، أبوعبدالله، الكاتب البلخي الخوارزمي (ت387هـ)، تحقيق: إبراهيم الابياري، دار الكتاب العربي، ط2.

42. **المفردات في غريب القرآن** : لابي القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهانى (ت 502هـ) تحقيق صفوان عدنان الداودي ط : دار القلم، الدار الشامية – دمشق بيروت ، الطبعة: الأولى – 1412هـ.

43. **موسوعة كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم** : محمد بن علي ابن القاضي محمد حامد بن محمّد صابر الفاروقي الحنفي التهانوي (المتوفى: بعد 1158هـ) تحقيق: د. علي دحروج ، الناشر: مكتبة لبنان ناشرون – بيروت، ط1 – 1996م.

44. **النهاية في غريب الحديث والأثر** : مجد الدين أبو السعادات المبارك بن محمد بن محمد بن محمد ابن عبد الكريم الشيباني الجزري ابن الأثير (المتوفى: 606هـ) ، تحقيق: طاهر أحمد الزاوى – محمود محمد الطناحي ، المكتبة العلمية – بيروت، 1399هـ – 1979م .